تعبير أنصار حقوق الإنسان لا يليق بالغربيّين؛ هم أعداء الإنسان

المكان: طهران

الحضور: الشعراء وأساتذة الأدب الفارسي

المناسبة: مولد كريم أهل البيت الإمام الحسن المجتبى (ع)

الزمان: ١٤٠٢/١/١٦ش. ١٤٤٤/٩/١٤هـ. ٢٠٢٣/٤/٥م.

كلمة الإمام الخامنئي دام ظله بتاريخ: ٢٠٢٣/٤/٥ خلال لقاء مع الشعراء وأساتذة الأدب الفارسي في أجواء مولد كريم أهل البيت الإمام الحسن المجتبى (ع). وخلال اللقاء صرّح قائد الثورة الإسلاميّة بأنّ الغربيّين ليسوا من أنصار حقوق الإنسان بل أعداء له، ذاكراً عدّة نماذج على إجرامهم في المنطقة، ومستنكراً عدم اعتراضهم على اغتيال الشباب وقتلهم في شوارع طهران، بل تحريضهم وتدريبهم للقتلة أيضاً. ولفت سماحته أيضاً إلى أنّ الشعر وسيلة إعلاميّة مؤثّرة وخالدة.

بسم الله الرحمن الرحيم،[١]

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين، سيما بقية الله في الأرضين.

كنت قد اشتقتُ لهذه الجلسة ولكم، أيها الأصدقاء والشّعراء الأعزّاء. الحمد لله المتعالي أن تفضّل علينا واستطعنا لقاء هذا الجمع مرّة أخرى هنا، وأن ننتفع ونستمتع بالمعنى الحقيقي للكلمة بنتاج أفكارهم وقلوبهم وأرواحهم، الذي هو قيّمٌ جدّاً، فتلك اللذّة التي يستقيها المرء من الشعر الجيد هي من أرقى الملذّات.

لحُسن الحظّ، اتّسع نطاق الشّعر في البلاد، سواء بمعنى ازدياد أعداد الشعراء أو ازدياد أعداد المستمعين. إنّها فرصةٌ ولا بدّ أن يُستفاد منها. الشّعر وسيلةٌ إعلاميّة، وسيلةٌ إعلاميّة مؤثّرة. كانت

هناك فترة – في العالم الإسلاميّ إلى الحدّ الذي أعلمه وأعرفه – كان الشّعر فيها الوسيلة الإعلاميّة المؤثّرة الوحيدة في العالم. كان الشّاعر يُلقي الشّعر، وكان الشعر الجيّد ينتشر بسرعة طبعاً ويسمعه الناس. ألقى دعبل في خراسان شعره المعروف ذاك، ثمّ أهداه الإمام [الرضا (ع)] جبّة جائزةً. خرج وجاء ووصل إلى قم، فقال القميّون سمعنا أنّ الإمام أهداك جبّة، فلتعطنا إياها. قال: لا، فأصرّوا وقالوا: أعطنا قطعة منها، فلم يبدِ استعداده لفعل ذلك. انطلق مع قافلة وخرج من قم، ووسط الطريق وصل إليهم قاطع طريق – من أولئك الذين يسرقون القوافل في الصحاري – واعترضهم وسلبهم أموالهم كلّها. كان رئيس السارقين جالساً في الأعلى على صخرة والسارقون يفتحون بضائع هذه القافلة واحدة تلو أخرى ويأخذونها ويفعلون بها كذا وكذا، وكان هو ينظر إلى عناصره حين قرأ هذا البيت:

أرى فَيئهم في غيرهم متقسّماً وأيديهم من فَيئهم صفرات[٢]

مضمون هذا الشّعر: أرى مالي وما أملكه يضيع من بين يديّ. كان [رئيس السارقين] يقصد القوافل بطبيعة الحال، أولئك أنفسهم الخالية أيديهم من فيئهم، أي أموالهم تلك بأيدي الآخرين. هذا بيتٌ من قصيدة [دعبل] نفسها. قال دعبل: اذهبوا واسألوه من ألقى هذه القصيدة التي قرأتها؟ ذهب أحد رجال القافلة وسأله: من ألقى هذا الشعر الذي قرأته وهذا البيت الذي ذكرته؟ قال: هو لدعبل. فقال إن دعبل هنا. سأل: أين هو؟ فأروه دعبل. تقدّم دعبل وقال: نعم، هذا الشعر لي وأنا [دعبل]. فأمر أن يعيدوا إليهم كلّ ما أخذوه منهم.

أودّ القول أن هذا ما يعنيه «الإعلام». هذا الشعر على سبيل المثال قيل في خراسان في شهر رجب، فحفظه سارقٌ في شهر شعبان، وكان يقرأ بيتاً منه ويتمثّل به، وكان الشعر ينتشر على هذا النحو. [لقد كان] وسيلة إعلاميّة. طبعاً، وسائل الإعلام اليوم متنوّعة، لكن للشعر مكانته، وليست أيّ وسيلة إعلاميّة مؤثّرة بالمعنى الخاص كما الشعر. طبعاً، بعض وسائل الإعلام، كالسينما، قد تكون أكثر تأثيراً من الشعر – مثل وسائل الإعلام البصريّة وأمثال هذه الأمور – لكنّها تنتهي وتُنسى. تشاهدون الفيلم مرّة أو اثنتين، ثمّ ينتهي، لكنّ هذا الشعر بقيَ ويبقى. يبقى هذا الشعر ألف عام. هذه هي خصوصيّة الشعر. إذاً، الشعر وسيلة إعلاميّة مؤثّرة وخالدة.

هناك نقطة حول الشعر الفارسي هي أنّ من خصائص الشعر الفارسي إنتاج الذخائر المعرفيّة والروحانيّة. ليس الأمر أنها غير موجودة في الأشعار الأخرى – إلى الحدّ الذي أعلمه – بل ليست مشهودة بهذه القوّة، أي حين ننظر إلى قمم الشعر الفارسي، نلاحظ أنّهم إما كانوا حكماء – [مثل] نظامي أو الحكيم فردوسي، ففردوسي حكيمٌ وشاهنامه [سيرة الملوك] كتابُ حكمة حقّاً – وإما هم كمولانا [أصحاب] معرفة وعرفان وروحانيّة، وإما حافظون القرآن، وإما كتابهم مليءٌ بالحقائق والمعارف الحِكميّة والروحانيّة مثل سعدي.

فلتبدؤوا من الأعلى لنصل إلى الأسفل، إلى سعدي وحافظ وجامي وصائب وبيدل. لاحظوا! هؤلاء حكماء جميعاً. [أشعار] هؤلاء كلّها حكمة، أي أنّ شعرنا، الشعر الفارسي، كان حاملاً الحكمةَ على مرّ الزمان، وكان حاملاً المعرفةَ، وصان ذخائرنا المعنويّة وأضفى عليها. فلو كنتم بمستوى معيّن من المعرفة، وحين تقرؤون المثنوي لمولانا، تزداد هذه المعرفة، أي هم يُنتجون المعرفة وهذا الذّخر، ولا يقتصر الأمر على حفظ الذّخر. هذه هي خصوصيّة الشعر الفارسي.

المهمّ أنّ إنتاج الذخائر هذا وصونها حدث في أصعب الظروف أيضاً، وعلى سبيل المثال في خضمّ الهجمات التي شنّها المغول. لدينا خلال فترة هجمات المغول العطّار ومولوي وسعدي وحافظ، وهؤلاء جميعاً كانوا خلال فترة المغول والتيموريين على أيّ حال، أي عندما كانت البلاد تمرّ بأصعب الظروف نتيجة هجوم الأعداء. كلّ شيء في البلاد كان متأثّراً بهذا الأمر لكنّ المعرفة والشعر والروحانيّة لم تتوقّف. هذه خصوصيّة الشعر الفارسي ولا بدّ أن نعرف هذه الأمور في ما يرتبط بشعرنا.

حسناً، شعراؤنا، الشعراء البارزون الذين ذكرنا أسماء بعضهم، مثل ناصر خسرو ونظام كنجوي وخاقاني ومولوي نفسه، ومثل سعدي، هؤلاء كانوا بالمعنى الحقيقي للكلمة مصداقاً لـ{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا} (الشعراء، ٢٢٧) في آخر سورة الشعراء. [هناك حيث يقول المتعالي]: {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ} (الشعراء، ٢٢٤–٢٢٦)، [ثم]: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا} (الشعراء، ٢٢٧)، أي هم مصداقٌ لهذه [الآية]. حقّاً إنّ الأمر كذلك، وإنّ شعراءنا العظام مصداقٌ لهذه [الآية]. هذا هو ماضينا.

أعتقد أنّ الهجوم الذي وقع في زمن المغول يتكرّر اليوم. طبعاً، إنّ أسلوب الهجوم من هؤلاء المغول الجدد الذين يرتدون ربطات العنق والأرب الفراشيّة ويرشّون العطور ويرتدون البدلات الرسميّة يختلف عن أولئك المغول، لكنّه هجوم. هم يشنّون الهجمات. كيف هو هجومهم؟ حسناً، نحن لمسناه بأنفسنا، ولا داعي أن نكون قد قرأناه في التاريخ. طبعاً، من يقرأ تاريخ الاستعمار قبل ثلاثمئة عام أو أربعمئة يدرك ما فعله هؤلاء بالعالم، وما الذي فعله المستعمرون بآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينيّة والقارّة الأمريكيّة بأكملها! تلك قضيّة مختلفة. هؤلاء في زماننا جهّزوا كلباً مسعوراً مثل صدّام [حسين] وسخّروا مصانع ألمانيا الكيميائيّة لخدمته حتى يجعل حلبتشه وسردشت وميادين القتال التي أمامه مقرّاً للجرائم بقتله الآلاف. هذا ما فعله هؤلاء في إيران، وهذا هو الهجوم. هذا الهجوم متنوّع، وليس مجرّد نوعٍ واحد. هو أحد الأنواع.

الحظر أيضاً جزء من الهجوم [مثل] حظر الأدوية. لو استطاعت الدول الغربية أن تحرم دولة مثل إيران الإسلامية، التي تسعى إلى الاستقلال والصمود والاستقامة، الموادّ الغذائية اللازمة، لفعلت، مثلما منعوا الأدوية اللازمة. عندما احتجنا اللقاح، أخذوا المال ولم يعطوا اللقاح. لقد أخذوا أموال اللقاح عام ٢٠٢١ ولم يعطوه تحت ذرائع مختلفة. لا تشكّوا في أنه إذا كان في إمكانهم فعل شيء لمنع طعام الناس وخبزهم من الدخول إلى البلاد، وأن ينعدم تصنيعه فيها، فسيفعلون ذلك حتماً. فهكذا هم. طبعاً قضية مجاعة القرن[٣] أيضاً محفوظة ولها محلّها، وهذا أيضاً هجوم بطريقة ما. إضافة إلى ذلك، «وظّفوا المئات والآلاف من وسائل الإعلام في خدمة الكذب والشائعات والانحرافات وما إلى ذلك. الآن هناك مجموعة متنوعة من الهجوم والغزو، من العسكري إلى الاقتصادي، إلى [الحرب] الصلبة إلى الناعمة. يوجد من الأنواع كافة. حسناً، ما دور الشاعر هنا؟ هذا مقصد كلامي. لقد تألق شعراؤنا في فترات ما، أي فعلوا ما كان عليهم فعله.

هدف العدو اليوم هو أن ينتزع منا قوتنا الفكرية والمعارفية. نريد الاستقلال فيُضعف روحيتنا. نحن نريد الاستقامة أمام الاستبداد الغربي، وهو [يسعى] لإضعاف روحيتنا جعلنا مترددين. يضعف الفكر والمعارف الإسلامية فينا، ويضعف العمل الإسلامي، والوحدة الوطنية، وتديّن المرأة وحياءها... هذه كلها احتياجات روحية لشعب ما وبلد ما. هؤلاء يسعون وراء ذلك. الآن قرأت إحدى السيدات [شعراً] عن المرأة وكم كان جيداً! حقاً، يجب أن تكون هناك أعمال كثيرة من هذا القبيل، ولا بد من إنجاز الكثير.

أريد أن أقول إن الغربيين ليس لديهم شفقة على المرأة الإيرانية حتى يقولوا إنه تجب مراعاة حقوق المرأة [بل] لديهم ضغينة ضد المرأة الإيرانية. قطعاً، لولا حضور النساء، ما انتصرت الثورة الإسلامية. أقول هذا [جازماً]، ففي النهاية أنا كنت في متن قضايا الثورة، أي لو لم تشارك النساء في تلك التجمعات الضخمة، ما انتصرت الثورة. لو أرادت النساء معارضة أزواجهن وأبنائهن وفتيانهن في هذا الأمر، لكان كل شيء سينتهي بطريقة مختلفة، كذلك الأمر في الحرب. عندما يقرأ الشخص سِيَر هؤلاء الأمهات والأزواج، يتأثر كثيراً. هؤلاء كنّ مَن أحيَيْن هذه الشجاعة والتضحيات في قلوب هؤلاء الشباب وهؤلاء الرجال. أولئك يحملون ضغينة تجاه المرأة الإيرانية، ويقدّمون أنفسهم أنهم أنصار حقوق المرأة، وأنصار حقوق الإنسان، وأنصار الحرية. هذه كلها هجماتٌ للعدو.

حسناً، حقوق الإنسان! يتعجّب الإنسان أساساً، فتعبير حقوق الإنسان لا يليق بالغربيّين؛ هم أعداء الإنسان. مثلما جاء في قصيدة أحد السادة عبارة: «لا يليق بي»[٤]، فإن حقوق المرأة لا تليق بالغربيين حقاً. فالآن، تعاني النساء في البلدان الغربية كبريات المشكلات، أيْ أكثر من البلدان الأخرى. هم ليسوا مناصري حقوق الإنسان أساساً. هؤلاء لا تليق بهم حقوق الإنسان أبداً. هؤلاء أعداء الإنسان! لقد رأينا حقوق إنسانهم في «داعش»، «داعش» الذي كان يُحرق الناس وهم أحياء أو يُغرقهم تحت الماء على مرأى من أعين الجميع. رأيناها في دعمهم المنافقين وصدّام ونراها في غزّة وفلسطين. هذه هي حقوق الإنسان! نراها في الاغتيالات وقتل الشباب هنا! في شوارع طهران، قتلوا أطهر شبابنا مثل هذين الشابين اللذين ذكروا اسميهما: آرمان عليّ وردي وروح الله عجميان. كانا حقّاً من أصفى وأنقى شبابنا وأطهرهم. يقتلونهم بالتعذيب ولا يعترض أولئك إطلاقاً، ولا يشكّل الأمر أيّ أهميّة عندهم. وأيضاً يحرضون. بل حتى يعلّمون [ذلك]. إذاعاتهم وعناصرهم يعلّمون هذه الأفعال. هذه هي حقوق الإنسان!

أقول إن على الجميع اليوم أن يعرفوا العدو. يجب أن يعرف الجميع النقاط التي يجعلها العدو هدفاً لهجومه. على الجميع معرفة أساليب العدو. ينبغي أن يعرف الجميع موقع حضور العدو، كما الحرب العسكرية، فالأخيرة على هذا النحو أيضاً. إذا لم لا تعرفوا من أين سيهاجم العدو، فسوف يُلْتَفّ عليكم. إذا لم تعرفوا أين المكان الذي يهدف إلى احتلاله، واستطاع خداعكم، فسوف يُلْتَفّ عليكم. لا بدّ أن تعرفوا. الأمر على النحو نفسه في الحرب الناعمة. لا بد أن

تعرفوا ما ينوي العدوّ فعله، وأن تعرفوا نقطة استهدافه وهدفه وأساليبه. على الجميع أن يعرفوا هذا الأمر ويتصدّوا له، لكنّ الأهمّ من هؤلاء كلّهم هم فئة الفنانين والمثقفين: الشاعر والرسام والكاتب الروائي والسينمائي والمعماري. لا بد أن يعرف هؤلاء الحاضرون في مختلف القضايا الثقافية أين نقع اليوم أمام إغارة العدو وهجومه. وعليهم أنفسهم أن يدركوا المشهد ويعرضوه للآخرين، ويجب أن [يُطلعوا] الجميع. ينبغي لهم ألا يرتبكوا. اليوم لحسن الحظ إن الشعراء من ذوي القلوب النقيّة والمعتقدين بالدين والثورة ليسوا قلّة لدينا. وطبعاً، أحد نماذج ذلك هنا هو أنتم.

لحسن الحظ، من الأعمال الجيدة التي أنجزتها المؤسسات المختلفة [بما في ذلك] «حوزه هنرى» [الدائرة الفنية] وبعض الأماكن الأخرى هو توسيع هذا العمل في أنحاء البلاد كافة، إذ يمكن للشعراء اليوم من أنحاء البلاد كلها، وحتى من القرى والمدن الصغيرة، أن يقدّموا أنفسهم ويذهبوا إلى مراكز معينة ويعرضوا شعرهم. هذا الأمر متوافر. طبعاً، الشاعر عاطفي؛ الشاعر منعطف وعاطفي. ينبغي ألا يتصرف بناءً على العواطف. عند مواجهة المشكلات، ينبغي ألا يتصرفوا بعاطفية [إنما] أن يفكروا ويحددوا المشهد بطريقة صحيحة وأن يشعروا بالمسؤولية تجاه ما هو موجود، وأن يؤدّوا ذلك الواجب بالفن الذي يمتلكونه. إذا لم يجرِ هذا العمل، فمهما كان الفن راقياً، فلا يمكن للإنسان أن يولي قيمة له. قال [الشاعر][٥]:

«مِي نابى ولى از خلوت خُم *** به ساغر چون نمى‌آيى چه حاصل؟»

خمرةٌ صافيةٌ ولكن من جفاء الجرة *** فما الفائدة إن لم تَرِد القدح؟

لا بدّ أن تدخلوا الكأس حتى تكونوا وسيلة للسعادة... قد قرأه أحد السادة.

أسأل الله أن يوفقكم الله جميعاً، وأن يجعلنا جميعاً موفقين حتى نتمكن من الاستفادة من إمكانات بلدنا ونظامنا القيّمة والتي لا نظير لها، بما في ذلك الفن والشعر. موفقين، إن شاء الله. أجدد لكم الشكر جميعاً، وأشكر السيد أميري إسفندقه[٦] والسيد قزوه[٧] على التقديم، مع أنهم لم يقرؤوا الشعر بأنفسهم. إن شاء الله، فسنسمع أشعارهم في المستقبل أيضاً.

والسلام عليكم ورحمة الله.

---

[١]. في مستهلّ هذا اللقاء، ألقى جمعٌ من الشعراء أشعارهم.

[٢] كمال الدين وتمام النعمة، ج. ٢، ص. ٣٧٣.

[٣] تسببت المجاعة الكبرى عام ١٩١٨، التي استمرت عامين وكان سببها استخدام البريطانيين مصادر المنتجات الغذائية الإيرانية في الحرب العالمية الأولى، في وفاة عدد كبير من الإيرانيين.

[٤] الشاعر حسن خسروي وقار.

[٥] صائب التبريزي، ديوان اشعار.

[٦] السيد مرتضى أميري إسفندقه.

[٧] السيد عليرضا قزوه.